مقدمة

تلعب المتاحف دوراً تثقيفياً وتنويرياً لا غنى عنه فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وذلك لكونها مؤسسات ثقافية تقوم على حفظ المجموعات الأثرية والفنية والتاريخية، وعرضها للجمهور بمختلف الوسائل التى تتيح له الإحساس بمعانى الجمال فيها، وإتاحتها للدارسين والباحثين لاستلهام ما بها من معلومات تاريخية وفنية وعلمية وغيرها من المعلومات التى تلقى الضوء عليها، وعلى مبدعيها، وتعطى صورة حية للعصر الذى أنتجت فيه.

والمتاحف بذلك تعمق الانتماء القومى وتربى الذوق الجمالى والفنى لدى جماهير المجتمع فهى بحق ذاكرة المجتمع ودليل الحس الجمالى فيه. كما للمتاحف دور آخر فى التقريب الثقافى بين الحضارات المختلفة وإذابة الهوة بينها فى إطار عام وشامل يحكى قصة الإنسان وكيف عاش وكيف فكر وكيف قام بتطوير أوجه حياته وفنونه وصناعاته. وبذلك لم يعد للمتحف دوره القديم والوحيد فقط ونعنى به حفظ الآثار والأعمال الفنية بغرض المتعة ليشمل دوراً إضافياً فى نشر الوعى الأثرى والفنى والتاريخى وتعميقه لدى مختلف قطاعات المجتمع. ولا يكون ذلك إلا من خلال عقد محاضرات دورية وندوات تثقيفية وتعليمية ومؤتمرات علمية ومعارض فنية وإصدارات متنوعة وأنشطة ترفيهية لتكتمل بذلك السمة العصرية للمتحف الحديث، ويتبلور دوره فى التنمية الثقافية والسياحية.

والحقيقة أنه لم يكن للمتحف هذه الرسالة وهذا المفهوم فى البداية، كما لم يكن عند القدماء ما يسمى بالمتحف فلم يكونوا فى حاجة إلى مكان تجمع فيه التحف، ذلك أن الفن لديهم كان فى كل مكان وهو جزء من سلوكهم اليومى. ولم تكن الأعمال الفنية قديماً فى حاجة إلى مكان تحبس فيه أو إلى ثرى يقتنيها. وبمرور الزمن وتوالى الأجيال نمت عند بعض الناس وخاصة الأثرياء منهم حمى اقتناء الأشياء الثمينة والنادرة والقديمة والجميلة واكتنازها فى قصورهم. فصارت قصور الملوك والأمراء والأثرياء تحوى كنوزاً من التحف والنوادر للاستمتاع بها وإشباع غريزة التملك لديهم.

وبتطور المجتمعات ورقى الفكر الجمعى وقيام الثورات القومية، فتحت قاعات هذه القصور المتخمة بالأعمال الفنية الجميلة أبوابها للمشتغلين بالفن والتاريخ ولطلاب العلم ثم لجميع فئات الشعب. وهكذا خرجت هذه الكنوز والروائع الفنية من محبسها فى هذه القصور الفارهة إلى عامة الشعب لتصبح ملكاً للدولة ولجمهور الناس جميعاً. وبذلك ولدت المتاحف من رحم قصور الأثرياء ثم إلى دنيا الفن الواسعة.

وقد انتشرت المتاحف وأروقة الفن galleries فى العواصم الأوروبية منذ منتصف القرن الثامن عشر. وتنافست الأمم فيما بينها فى اقتناء كل ما هو ذو قيمة فنية أو أثرية أو تاريخية وفى إقامة متاحف لها لعرض كنوزها وآثارها.

وبتنوع المقتنيات تتنوع المتاحف وتختلف، فنجد المتاحف الأثرية والتى تضم بين جدرانها آثاراً قديمة تمثل الدليل المادى للتاريخ القديم وتحكى قصة الإنسان فى العصور القديمة، وكيف عاش وكيف فكر وكيف نمت معرفته بها، وكيف قام بتطوير حياته وفنونه وصناعاته وثقافاته، ومن أمثلتها المتاحف التى تضم آثار ما قبل التاريخ والعصر الفرعونى واليونانى الرومانى والقبطى والاسلامى. وهناك المتاحف التاريخية والتى تؤرخ بما تحتويه من أثاث وتحف وأعمال فنية لتاريخ إنسان ما كالأبطال القوميين والموسيقيين والكتاب والفنانين والقادة العسكريين والمكتشفين والعلماء أو مكان ما عاصر أحداثاً تاريخية هامة. والمتاحف النوعية مثل متاحف التاريخ الطبيعى والأجناس والجيولوجيا، والمتاحف المتخصصة مثل متاحف البريد والسكك الحديدية والصناعة والزراعة والتعليم إلى آخر ما يمكن أن تضمه من موضوعات فى الآداب والفنون والعلوم. وهناك متاحف هدفها إقليما محدداً تعرض تاريخه وقصة الإنسان على أرضه وتسمى هذه المتاحف بالمتاحف الإقليمية.

وفى هذا الكتاب نحاول إلقاء الضوء على أصل المتحف ونشأته وما هى الاحتياجات أو الاشتراطات الضرورية الواجب توفرها عند إنشاء متحف ما. ثم أخذ القارئ فى جولة بين مجموعة من المتاحف المصرية متناولين تاريخ إنشاء هذه المتاحف وأهم ما بها من مقتنيات أثرية وفنية وما صاحب ذلك من حكايات تضفى على المعلومات التاريخية المزيد من الجاذبية والتشويق.

وجولة أخرى فى أروقة أشهر المتاحف العالمية متتبعين نشأة هذه المتاحف وأهم مقتنياتها وأقسامها وخاصة القسم المصرى بها. حيث يحتفظ ما يزيد على ٤٥ متحفا من متاحف العالم بمجموعات فريدة من الآثار المصرية تم الحصول عليها من خلال بعثات

الحفائر التى كانت تمولها أو من خلال الشراء أو من طرق غير شرعية. وليس أدل على ذلك من أن المتحف البريطانى يمتلك مجموعة من الآثار المصرية تصل إلى ١١٠ آلاف قطعة من الآثار المصرية، ومتحف بترى للآثار المصرية ٨٠ ألف قطعة، وكلا المتحفين فى لندن ببريطانيا. والقسم المصرى بمتحف برلين بألمانيا يمتلك من الآثار المصرية حوالى ٨٠ ألفا، ومتحف اللوفر فى باريس يمتلك أكثر من ٥٠ ألفا، ومتحف جامعة بنسلفانيا للآثار والانثروبولوجيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة يمتلك حوالى ٤٢ ألفا، ومتحف الفنون الجميلة ببوسطن بالولايات المتحدة يمتلك من الآثار المصرية حوالى ٤٠ ألف أثر، ومتحف المترو بوليتان بنيويورك بالولايات المتحدة يمتلك من الآثار المصرية ما يربو على ٣٦ ألف قطعة، ومتحف إجيزيو بالفاتيكان به أكثر من ٣٢,٥٠٠ أثر مصرى والمعهد الشرقى بشيكاغو بالولايات المتحدة به حوالى ٣٠ ألف قطعة من الآثار المصرية. وغيرها الكثير والكثير من الروائع المصرية فى العديد من المتاحف العالمية الأخرى. مثل هذه الروائع من آثارنا الفريدة وعلى رغم بعدها عن أحضان أرضها الأم تمثل نعم سفراء فوق العادة للتاريخ وللحضارة والفن المصرى القديم.

وبعد جولتنا فى هذه المتاحف العالمية مختلفة التاريخ والمعروضات والحكايات، يتناول الكتاب دور المتحف تجاه مقتنياته ومرتاديه، وطرق حماية هذه المقتنيات فى بيئتى العرض والتخزين من عوامل التلف المختلفة سواء بالتحكم فى مستويات الرطوبة النسبية والحرارة ومستويات الإضاءة، بالإضافة إلى حمايتها من التأثيرات المتلفة للملوثات الجوية، وأخيراً حمايتها من السرقة.

ولعل هذا الكتاب يكون قد قدم للقارئ العربى شيئاً جديداً حيث تفتقر المكتبة العربية للدراسات المتحفية العميقة ولعله يمثل لبنة فى حاجة إلى مزيد من اللبنات الأخرى تتناول مقتنيات هذه المتاحف وكيفية الحفاظ عليها وصيانتها وأساليب العرض والتخزين الجيد لهذه المقتنيات بما يضمن حفظها للأجيال القادمة فى حالة جيدة. والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما وددت توصيله إلى القارئ، وأن يهدينا سواء السبيل.

المؤلف

د. محمد أبو الفتوح غنيم